الإصدار السادس – العدد واحد وستون
تاريخ الإصدار: 2 – تشرين الثاني – 2023م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

"الطباق والمقابلة من بلاغة الجملة إلى بلاغة النص"

إعداد الباحثة:

د. مليكة بن عطاءالله

جامعة قاصدي مرباح ورقلة الجزائر

الإصدار السادس – العدد واحد وستون
تاريخ الإصدار: 2 – تشرين الثاني – 2023م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

الملخّص:

إن انحصار الدرس البلاغي في مفردات الشواهد والأمثلة جعل البلاغة العربية تقف عاجزة عن ملامسة الأعمال الفنية الحديثة في شمولها، وذلك نتيجة للنزعة التفتيتية التي ميزت البلاغة العربية، وإذا نظرنا إلى الفنون البلاغية نظرة مختلفة عما ألفه الدارسون قد نجد أن كثيرا من الفنون البلاغة لا تزال تختزن أسرارا لم يكتشفها البلاغيون بعد، وما تزال العديد من الفنون البلاغية قادرة على المساهمة والإفادة للسانيات النصية.

كلمات البحث: البلاغة العربية، الطباق، المقابلة، النص، القرآن الكريم.

مقدمة:

ظل علم البديع يتذَيَّلُ علوم البلاغة وليس له من عمل . في نظر البلاغيين . إلا التحسين اللفظي والمعنوي، باعتباره يهتم بالصياغة اللفظية أكثر من المعنى الدلالي، غير أننا إذا أعدنا النظر في بعض أشكال البديع ألفيناها تختزن أسرارا ودلالات قد تغيب عن فكر الدارس، من هذه الأشكال البديعية الطباق والمقابلة، وهما من أهم الظواهر البلاغية، ومن أظهر أشكال التضاد الدلالي، حيث تجمعان بين المتضادين في الكلام، وتبرز قيمتهما فيما يثيرانه من مشاعر ودلالات داخل السياق الأسلوبي، ومناوشة الشعور ومباغتته. وهما من الظواهر البلاغية الخصبة في دلالتهما، كما أنهما وسيلة فنية تكشف الصراع والتناقض الفكري والنفسي الداخلي والخارجي في الأعمال الأدبية، بل إن ظاهرة التقابل والتضاد تنتظم الوجود كله؛ فالسماء تقابلها الأرض، والجنة تقابلها النار، والشياطين في مقابل الملائكة، والإنس يقابل الجن، والليل يقابل النهار، والنور يقابل الظلام، والعلم يقابل الجهل، والحي يقابل الميت، والمؤمن يقابل الكافر...إلخ.

أما في القرآن الكريم فإن ظاهرة التقابل لافتة للعيان، فلا تكاد تخلوا سورة من سوره من التقابل والتضاد الذي ينطوي على أسرار لطيفة ومعاني عميقة.

إشكالية البحث: ينطلق البحث من إشكالية مفادها هل للطباق والمقابلة دلالات عميقة خاصة في النص القرآني؟ وهل ساهمت هذه الظواهر البلاغية في تماسك النص القرآني، وهل كان لها الأثر البار في إثراء الدلالة؟

للإجابة على هذه الإشكالية فإن **الفرضيات القائمة** هي:

- للطباق والمقابلة دور لافت في انسجام النص وتماسكه وأمثلته من القرآن الكريم كثيرة.
- يربط الطباق والمقابلة بين أطراف الجمل مما يولد الدلالة العميقة للنص.

الإصدار السادس – العدد واحد وستون
تاريخ الإصدار: 2 – تشرين الثاني – 2023م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

وتهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على الدلالات العميقة للطباق والمقابلة في النص القرآني، والخروج بالطباق والمقابلة من ضِيق الشاهد والمثال المفرد إلى سعة النص، ومن المعالجة التفتيتية إلى المعالجة النسقية، ونحلهما مكانا عليا بين وسائل السبك والحبك التي هي قوام النص والنصية.

المنهج المتبع:

كان المنهج الوصفي هو الأنسب لهذه الدراسة، لوصف الظاهرة في النص القرآني، ومن ثم كان التحليل أداة حاضرة لمقاربة الظاهرتين البلاغيتين في النص القرآني.

1 –الطباق في اللغة وفي اصطلاح البلاغيين:

يفصِّل ابن منظور في شرح مادة (طبق) شرحا وافيا قائلا: "تطابق الشيئان: تساويا. والمطابقة: المُوافقة. والتّطابق: الاتفاق. وطابقت بين الشيئين إذا جعلتهما على حذو واحد وألزقتهما... وطابق بين قميصين: لبس أحدهما على الآخر. والسموات الطِّباقُ: سميت بذلك لمُطابقة بعضها بعضاً أي بعضها فوق بعض، وتعني المطابقة . أيضا . أن يضع الفرس رجله في موضع يده، وفي كتاب علي، رضوان الله عليه، إلى عمرو بن العاص: كما وافق شنٌّ طبقةٍ؛ قال: هذا مثل للعرب يضرب لكل اثنين أو أمرين جمعتهما حالة واحدة اتصَّف بها كلٌّ منهما." (ابن منظور، مج10، ص209)

"قال الخليل ابن أحمد (170هـ) يقال طابقت بين الشيئين إذا جمعت بينهما على حذو واحد وألصقتهما... وذكر الأصمعي المطابقة في الشعر فقال: أصلها وضع الرجل في موضع اليد في مشي ذوات الأربع وأنشد لنابغة بني جعدة:

وخيل يطابقنَ بالدّراعين طباقَ الكلابِ يطأن الهراسا (ابن رشيق، ج2، 1955، ص7)

أما في **اصطلاح البلاغيين**، فقد جاء في معجم المصطلحات البلاغية لأحمد مطلوب أن الطباق "هو التضاد والتطبيق والتكافؤ والمطابقة والمقاسمة" (مطلوب، ج3، 1987، ص66)

وعرفه ابن رشيق القيرواني (456هـ) بقوله: " المطابقة في الكلام: أن يأتلف في معناه ما يضاد في فحواه والمطابقة عند جميع الناس: جَمْعُكَ بين الضدين في الكلام أو بيت شعر، إلا قدامة ومن اتبعه؛ فإنهم يجعلون اجتماع المعنيين في لفظة واحدة مكررة طباقا." (ابن رشيق، ج2، 1955، ص 5)

وعرّفه السكاكي (626هـ) بقوله: "وهي أن تجمع بين متضادين، كقوله:

الإصدار السادس – العدد واحد وستون
تاريخ الإصدار: 2 – تشرين الثاني – 2023م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

أَما والذي أبكَى وأَضحَكَ والذي أماتَ وأحْيا والذي أمْرُهُ الأمرُ

وقوله علت كلمته:﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(آل عمران: 26) (السكاكي،2011، ص533)، ولم يتوسع السكاكي (626هـ) في بحث هذا اللون البديعي كما توسّع فيه ابن الأثر، الذي عبَّر عن المعنى ذاته في حده للطباق، بقوله: "اعلم أن جماعة من أرباب الصناعة قد أجمعوا على أن المطابقة في الكلام: هي الجمع بين الشيء وضدِّه، كالسواد والبياض والليل والنهار، وخالفهم في ذلك أبو الفرج قدامة ابن جعفر الكاتب (337هـ) فقال: المطابقة إيراد لفظتين متساويتين في البناء والصيغة مختلفتين في المعنى. وهذا الذي ذكره قدامة هو (التجنيس) بعينه "(ابن الأثير، 1956، ص211)

2 –**الطباق بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي:**

إذا قارنا بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي لمصطلح (الطباق) فإننا نجد أن معاجم اللغة تتفق على أن المعنى اللغوي للطباق لا يخرج عن الموافقة والمساواة في المقدار، وهو عكس المعنى الاصطلاحي الذي يعنى التضاد بين معنيين، ولذلك عدة تفسيرات منها الرأي الذي ذهب إليه ابن القيم (ت751هـ)، حيث يرى أن البلاغيين قد سموا هذا الضرب من الكلام مطابقة تسمية مرتجلة، لا اشتقاق لها ولا مناسبة، لكنه لا يستبعد أيضا أن يكونوا قد علموا لذلك مناسبة لطيفة لم يطّلع عليها غيرهم. (ابن القيم، بدون تاريخ)

ومساواة الشيء للشيء في المقدار قد يكون مخالفا له في النوع، كجعل الطبق فوق الإناء يكون مساويا له في المقدار ومخالفا له في النوع، وعلى هذا يفسر قوله تعالى:﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ (الملك:3) أي بعضها فوق بعض بالتساوي، وإن كانت كل سماء تختلف عن غيرها.

كما حاول ابن أبي الأصبع المصري (654هـ) في كتابه (تحرير التحبير) أن يعطي تعليلا لهذا التناقض، وهو أن البلاغيين رأوا أن البعير قد جمع بين الرجل واليد في موطئ واحد، والرجل واليد ضدان أو في معنى الضدين، فكذلك إذا جمع المتكلّم بين الضدين، حسن أن يسمى كلامه مطابقا. (ابن أبي الأصبع، بدون تاريخ)

أما ابن رشيق القيرواني (456هـ) فقد حاول التوفيق بين المعنى اللغوي وهي (الموافقة)، والدلالة الاصطلاحية وهي (التضاد) لمصطلح الطباق، كما حاول التوفيق بين آراء الدارسين حين عرفه بأنه: " مساواة المقدار من غير زيادة ولا نقصان" (ابن رشيق، ج2، 1955، ص7)، وقد عقّب على هذا التعريف بقوله إنه أحسن قول سمعه لأنه أجمع للفائدة، وأنه يشتمل على أقوال الفريقين (ابن رشيق، ج2، 1955)، وهذا المعنى اللغوي هو الذي جعل ابن الأثير (637هـ) يدمج الطباق والمقابلة تحت عنوان واحد هو ((المقابلة))، لأن التقابل لا يكون بين المتضادات فقط، بل قد يكون بين المعنى ومثيله، أو بين المعنى وما ليس بضده. وخالف السكاكي الذي فَصَل بين الطباق والمقابلة على الرغم من أن الفرق بينهما كمي لا نوعي، يقول: "الأليق من حيث المعنى أن يسمى هذا النوع ((المقابلة))، لأنه لا يخلو الحال في ذلك من ثلاثة أقسام: إما أن يقابل الشيء بضده، أو بغيره (أو بمثله) وليس لنا قسم رابع" (ابن الأثير، 1956، ص212)، وهو ما دعا إليه العلوي الذي اقتفى آثار ابن الأثير(637هـ) فلم يفصل بين الطباق والمقابلة في كتابه الطراز، وتناولهما تحت عنوان

الإصدار السادس – العدد واحد وستون
تاريخ الإصدار: 2 – تشرين الثاني – 2023م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

واحد هو "التطبيق"، ورأى أنه من الأجود أن يسمى هذا النوع بالمقابلة، "لأن الضدين يتقابلان، كالسواد والبياض، والحركة والسكون، وغير ذلك من الأضداد من غير حاجة إلى تلقيبه بالطباق والمطابقة، لأنهما يُشعران بالتماثل" (العلوي، ج2، 2002، ص197).

إن ما دعا إليه ابن الأثير (637هـ) بدمج الطباق والمقابلة تحت عنوان واحد هو ((المقابلة)) –لأن التقابل لا يكون بين المتضادات فقط –هذا التجديد دعا إليه بعض النقاد المحدثين من أمثال الدكتور رجاء عيد في كتابه (فلسفة البلاغة) حيث سمى هذا النوع بالطباق، يقول: "ولا يجدي إسراف البلاغيين في تفريعاتهم له وليس هناك معنى للحديث عن الطباق والمقابلة فما هذا إلا ذاك" (عيد، بدون تاريخ، ص220).

والفصل بين المصطلحين الطباق والمقابلة ليس الوجه الوحيد لإسراف البلاغيين، فقد وردت مرادفات لمصطلح الطباق في كتب البلاغة جَمعها أحمد مطلوب في تعريف الطباق قائلا: "هو التضاد والتطبيق والتكافؤ والمطابقة والمقاسمة" (مطلوب، 1987، ص66)، وكثرة المصطلحات والتفريعات والتقسيمات هي داء عضال تعاني منه البلاغة العربية، لذلك نحن نتفق مع الأستاذ رجاء عيد في جمعه للمصطلحين (الطباق والمقابلة) تحت مسمى واحد، لكن نختلف معه في التسمية، فلأجدر تسميتهما ((المقابلة أو التقابل)) كما قال ابن الأثير الجزري.

3 –أنواع الطباق:

من أشهر أنواع الطباق طباق الايجاب وطباق السلب؛ **فطباق الايجاب** وهو الجمع بين الشيء وضده، مثل قوله تعالى:﴿ وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ~ وَلا الظُّلُمَاتُ وَلا النُّورُ ~ وَلا الظِّلُّ وَلا الْحَرُورُ ~ وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلا الأَمْوَاتُ ﴾(فاطر: 19–22).

وأما "**طباق السلب**، فهو الجمع بين فعلي مصدر واحد، مُثبت ومنفي، أو أمر ونهي، كقوله تعالى:﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(الروم: 6، 7) وقوله تعالى:﴿ فَلَا **تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ** ﴾(المائدة: 44)" (القزويني، 2003 ص257)

ومن الأنواع التي ذكرها الخطيب القزويني (739هـ) (القزويني، 1932)، والتي نجدها من أجمل صور التضاد، وهي:

أ/ . **طباق بلفظتين من نوع واحد:** اسمين أو فعلين أو حرفين.

فما كان بين اسمين؛ كقوله تعالى:﴿ وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ~ وَلا الظُّلُمَاتُ وَلا النُّورُ ~ وَلا الظِّلُّ وَلا الْحَرُورُ ~ وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلا الأَمْوَاتُ ﴾(فاطر: 19– 22).

وما كان بين فعلين، كقوله تعالى:﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ~ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾(النجم:43 – 44) فقد وقع الطباق بين (أَضْحَكَ وَأَبْكَى) وبين (أَمَاتَ وَأَحْيَا).

وما كان بين حرفين: كقوله تعالى:﴿ **لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيهَا مَا اكْتَسَبَتْ** ﴾(البقرة:286)، الطباق بين (لها وعليها).

ب/ **ضرب يأتي بألفاظ الحقيقة**، وضرب يأتي بألفاظ المجاز مثل قوله تعالى:﴿ وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ~ وَلا الظُّلُمَاتُ وَلا النُّورُ ~ وَلا الظِّلُّ وَلا الْحَرُورُ ~ وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلا الأَمْوَاتُ ﴾(فاطر:19). (الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ) وكذا (الظُّلُمَاتُ وَلا النُّورُ) ألفاظ مجازية،

الإصدار السادس – العدد واحد وستون
تاريخ الإصدار: 2 – تشرين الثاني – 2023م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

بينما (الظِّلُّ وَلا الْحَرُورُ) ألفاظ دلالاتها حقيقية. والضرب الذي يأتي بألفاظ مجازية سماه علماء البلاغة (التكافؤ) (ابن أبي الأصبع، ج2، بدون تاريخ).

ج/ طباق بلفظين من نوعين مختلفين: كقوله تعالى:﴿ أَوَمَن كَانَ مَيتًا فَأَحْيينَاهُ ﴾(الأنعام: 122)، أي ضالا فهديناه، الطباق بين (ميتا) وهي اسم كان و(أحييناه) وهي فعل ماضي.

وقُسِّم الطباق أيضا إلى طباق ظاهر وأخر خفي.

فالظاهر: ما لا يحتاج إلى تأويل، وما يظهر فيه التضاد صريحا.

والخفي: ما يحتاج إلى تدبّر وروية لاستخلاصه ويغلب أن يكون اللفظ الثاني مستلزما لما يضاد الأول، كقوله تعالى:﴿ مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا﴾(نوح:25). لأن إدخال النار يستلزم الإحراق المضاد للإغراق، أو لأن الغَرَقَ من صفات الماء، فكأنه جمع بين الماء والنار. قال ابن منقذ: هي أخفى مطابقة في القرآن الكريم" (الزركشي، ج3، بدون تاريخ، ص457)، ويسمى هذا النوع كذلك (إيهام التضاد)، ومنها قوله تعالى:﴿ **مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بيْنَهُمْ** ﴾(الفتح: 29) فالمطابقة هنا بين (أشداء) و(رحماء). والرحمة ليست ضدا لـ(أشداء)، ولكن الرحمة تستلزم (اللين) الذي يتقابل ويتضاد مع (الشدة)، لأن من رحم لان قلبه ورق. فالتضاد ليس واضحا، بل فيه خفاء. "ومنه﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ** ﴾، لأن معنى القصاص القتل، فصار القتل سبب الحياة. قال ابن المعتز؛ وهذا من أملح الطباق وأخفاه." (الزركشي، ج3، بدون تاريخ، ص457)

4 –أهمية الطباق:

تبرز أهمية الطباق في عدّة أمور نذكر منها ما يأتي:

- يُعطي وجود الطباق في الجملة معناها الكامل، ويوضّح ما المقصود بها.
- يساعد الطباق على ربط الأشياء بعضها مع بعض، مثلاً: عند نطق كلمة الخير، فإنَّه تخطر على بالك كلمة الشرّ.
- يُوضِّح أنَّ صدى تأثير الحروف يدوم طويلاً على فكر الإنسان وحياتهِ .
- يُضيف الطباق على النَّصِّ الجمال الذي ينقصهُ.

ولا أدلّ على ذلك من قول دوقلة المنبجي:

فالوَجْهُ مِثْلُ الصُّبْحِ مبيض والشَّعْرُ مِثْلُ اللَيلِ مُســوَّد
ضِدّانِ لمَّا اسْتجْمعَا حَسُنَا وَالضِدُّ يُظْهِرُ حُسْنَهُ الضِدُّ

الإصدار السادس – العدد واحد وستون
تاريخ الإصدار: 2 – تشرين الثاني – 2023م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

5 –الطباق من بلاغة الجملة إلى بلاغة النص:

إن ما جعل تأثير الطباق محدودا ومعناه محصورا، هو وروده في الجملة أو البيت الشعري، وهذا ما عليه معظم أمثلة البلاغة العربية على مرّ العصور، فحين يرد الطباق في كتب البلاغة فإنه يكون في حدود الجملة أو البيت الشعري، وحين يتجاوز الطباق مستوى الجملة الى الجملتين أو الى الفقرة فإنه يوسع المساحة سبكا وحبكا ويربط بين المعاني في النص؛ حيث أن الطباق يربط بين أطراف الجمل مما يولد الدلالة العميقة للنص ويساهم في ربط المعاني بعضها ببعض، وأمثلته كثيرة في القرآن الكريم، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿تؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(آل عمران: 26) دور الطباق (تؤْتِي _ تَنزِعُ) ظاهر في الربط بين الجملتين الأولى والثانية، كما أن مساهمة الطباق (تُعِزُّ _ تُذِلُّ) في الربط بين الجملتين الثالثة والرابعة من حيث المعنى ومن حيث السبك واضحة.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:﴿ إِنْ تعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾(المائدة: 118) لا يخفى ما فعله الطباق بين (تعَذِّبْهُمْ _ تغْفِرْ لَهُمْ) من ربط بين الجملتين في دلالتهما وشكلهما؛ فإنه لا يستقيم المعنى في الجملة الثانية إلا بالجملة الأولى، ثم العلاقة بين الطباق في الجملتين وبين قوله تعالى:﴿ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾، لأن الموقف في بداية الكلام موقف عزة وقدرة وحكمة، فلله القدرة والعزة والحكمة في تعامله مع عباده، ان يعذبهم أو يغفر لهم فهذا راجع لقدرته تعالى ولحكمته وعزته.

وهذا النوع من الطباق سماه ابن أبي الأصبع المصري (طباق الترديد)، حيث يقول: " وطباق الترديد، وهو أن يُردَّ آخر الكلام المطابق على أوله، فإن لم يكن الكلام مطابقاً فهو رد الأعجاز على الصدور، ومثاله قول الأعشى:

لا يرْقَعُ النَّاسُ ما أوهَوْا وإن جهَدوا طُولَ الحَياةِ ولا يُوهُونَ ما رقعَوا" (ابن أبي الأصبع، ج2، بدون تاريخ، ص115)

6 –المقابلة في اللغة والاصطلاح

المقابلة ظاهرة بلاغية تختزن ثراء دلاليا كبيرا؛ فعند مقابلة الشيء بمثله نكتشف معاني بديعة، وهو تقابل للمعاني تحدث عنه ابن الأثير(637هـ) (ابن الأثير، 1956) ثم العلوي(749هـ)، وإذا استنطقنا المعاجم اللغوية عن كلمة المقابلة، ألفيناها في لسان العرب تحمل معنى المواجهة والتقابل، قال ابن منظور (711هـ): "المقابلة: المُواجهة، والتقابل مثله. وهو قِبالك وقُبالتُك أي تُجاهك؛ وقُبالة الطريق: ما استقبلك منه" (ابن منظور، ج11، بدون تاريخ، ص540)، وهي كذلك عند أحمد بن فارس (395هـ)، فمادة (قبل) أصل يدلّ على مواجهة الشيء للشيء (ابن فارس، ج5، 1979)، وفي القاموس المحيط فإن معاني مادة (قبل) هي نقيض بعُد، وقُبالته: تجاهه، وقابله: واجهه وقابل الكتاب: عارضه، وتقابلا: تواجها (الفيروزآبادي، 2008)

الإصدار السادس – العدد واحد وستون
تاريخ الإصدار: 2 – تشرين الثاني – 2023م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

أما في عرف البلاغة: فمن أحسن التعريفات المعبرة عن روح المقابلة ودورها خاصة في القرآن الكريم، أجد تعريف ابن رشيق القيرواني (456هـ) الذي يقول فيه: " وأصلها ترتيب الكلام على ما يجب؛ فيعطى أول الكلام ما يليق به أولا، وآخره ما يليق به آخراً، ويأتي في المواقف بما يوافقه، وفي المخالف بما يخالفه. وأكثر ما تجئ في الأضداد." (ابن رشيق، ج2، 1955، ص15).

ويتفق ابن رشيق مع ابن أبي الأصبع في تعريفه للمقابلة، يقول ابن أبي الأصبع: " عبارة عن توخّي المتكلم ترتيب الكلام على ما ينبغي، فإذا أتى بأشياء في صدر كلامه أتى بأضدادها في عجزه على الترتيب، بحيث يقابل الأول بالأول، والثاني بالثاني لا يخْرِم من ذلك في المخالف والموافق... وقد تكون المقابلة بغير الأضداد." (ابن أبي الأصبع، بدون تاريخ، ص179)

وعرّفها الزركشي بقوله: " وهي ذكر الشيء مع ما يوازيه في بعض صفاته، ويخالفه في بعضها." (الزركشي، بدون تاريخ، ص458)، وقال عنها السكاكي: "هي أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر، وبين ضديهما" (السكاكي، 2011، ص533)، ولا يخرج العلوي (749هـ) عن هذا التعريف بقوله: "وحاصله أن يأتي في الكلام بأمرين ثم يعطف عليهما أضدادهما" (العلوي، 2007، ص414)، وهي عند الخطيب القزويني " أن يُؤتى بمعنيين مُتوافقينِ أو أكثر ثم بما يُقابلُ ذلك على الترتيب. والمُراد بالتَّوافق خِلافُ التقابلِ، نحو:﴿ فلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيبْكُوا كَثِيرًا ﴾" (القزويني، 1932، ص352).

7 –الفرق بين الطباق والمقابلة:

- يجمع الطباق بين لفظين مُتضادين فقط، أمّا المقابلة فتتجاوز ذلك لتستخدم أكثر من ذلك، وقد يصل العدد أحياناً إلى عشرة أضداد في الجُملة الواحدة، وتكون خمسة في الصدر وخمسة أخرى في العجز، أي أن الفرق كمي.
- أن المطابقة لا تكون إلا بالأضداد، أما المقابلة فتكون بالأضداد وغير الأضداد، ولهذا جعل ابن الأثير الطباق أحد أنواع المقابلة، ولكنها بالأضداد تكون أعلى رتبة، وأعظم موقفا، لأن بلاغتها تأتي من أنها سبب من أسباب وفاء المعنى وتمام الغرض.

8 –التقابل من بلاغة الجملة الى بلاغة النص

من العلماء القلائل الذين تفطنوا الى المعاني العميقة للتقابل في القرآن الكريم وفي اللغة عموما ابن الأثير الجزري(637هـ)، الذي يقول في كتابه (الجامع الكبير): "واعلم أن في تقابل المعاني باباً عجيب الأمر يحتاج الى فضل تأمل وزيادة نظر وتدبر، وهو تخليص بالفواصل من الكلام المنثور، وبالأعجاز من أبيات الشعر...واعلم أيها المتأمل لكتابنا هذا أنه قلّما توجد هذه الملاءمة والمناسبة في كلام ناظم أو ناثر. وهذا الباب ليس في علم البيان أكثر نفعا منه، ولا أعظم فائدة، وهو مع ذلك دقيق المسلك ضيق المذهب" (ابن الأثير، 1956، ص215، 216).

من أمثلة ذلك ما يتجلى في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ ترَ أَنَّ اللهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فتُصْبِحُ الارْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللهَ لَطِيفُ خَبِيرُ﴾ (الحج:63) وقوله تعالى: ﴿ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الارْضِ وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (الحج:64) ، و قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ ترَ أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الارْضِ وَ الْفُلْكِ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ اَن تقَعَ عَلَى الارْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفُ رَّحِيمُ﴾ (الحج:65).

نجد في الآيات الأولى أنه لما كان الموضع موضع رحمة بالخلق بإنزال الغيث وإخراج النبات، ولأنه الخبير بما ينفعهم وما يضرهم في إنزال الغيث، ففصل الآيات بقوله ((لَطِيفُ خَبِيرُ))، وفي الآيات الثانية فصل بقوله: ((الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ)) لأنه قال: ((لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الارْضِ))، فهو الغني الذي له ما في السماوات وما في الأرض، الجواد، الكريم، وإذا جاد وأنعم استحق الحمد من الخَلْقِ، فَذَكَر الحمد ليدل على أنه غنيٌ نافع للخلق بغناه. وفي الآيات الثالثة فَصَلَ بقوله: ((لَرَءُوفُ رَّحِيمُ)) لأنه عدَّد للناس ما أنعم به عليهم من

الإصدار السادس – العدد واحد وستون
تاريخ الإصدار: 2 – تشرين الثاني – 2023م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

تسخير ما في الأرض، وإجراء الفلك في البحر، وجَعْلِهِ السماء فوقهم وإمساكه إياها عن الوقوع، ففصل بقوله رؤوف رحيم، لأن هذا الفعل فعل رؤوف رحيم ومعظم آيات الذكر الحكيم جاءت على هذا المنوال (ابن الأثير، 1956).

إن التقابل المعجمي بين الكلمات يساهم في توضح معانيها، وهو طريقة لتعريفها، وهو من عناصر السبك في النص، كما أنه يكشف عن تقابل أعمق بين المعاني، فحين نتأمل قوله تعالى:﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ * وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾(النجم: 43، 44)، نجد أن الآيتين تعكسان تقابلا معجميا بين الإضحاك والإبكاء وبين الإحياء والإماتة، هذا التقابل يكشف عن تقابل باطني بين القوة والإرادة الإلهية في مقابل العجز البشري.

ومن أمثلة التقابل الوارد في القرآن الكريم كثيرا التقابل بين صور العذاب الحسي وبين صور النعيم المادي، منها قولع تعالى:﴿ هلْ أتاكَ حديثُ الغاشِيةِ ~ وُجوهٌ يومئذٍ خاشِعَةٌ ~ عامِلةٌ نَّاصِبَةٌ ~ تَصْلَى ناراً حامِيةً ~ تُسْقَى مِن عَيْنٍ آنِيةٍ ~ ليس لَهُمْ طعامٌ إلاّ مِن ضَرِيعٍ ~ لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴾(الغاشية: 1 –7). هذا هو العذاب الحسي، يقابله مظاهر النعيم المادي:

﴿ وُجُوه يَومَئِذ نَّاعِمَة ~ لِّسَعيِهَا رَاضِيَة ~ فِي جَنَّةٍ عَالِيَة ~ لَّا تَسمَعُ فِيهَا لَٰغِيَة ~ فِيهَا عَين جَارِيَة ~ فِيهَا سُرُر مَّرفُوعَة ~ وَأَكوَاب مَّوضُوعَة ~ وَنَمَارِقُ مَصفُوفَة ~ وَزَرَابِيُّ مَبثُوثَةٌ ﴾(الغاشية: 8 –16) (عبد العزيز إبراهيم، 2012).

ومن أمثلة (التقابل) الخفية، قوله تعالى:﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾(هود:24)، فقد يقال هنا: كان المقتضى أن يقال: (مثل الفريقين كالأعمى والبصير والأصم والسميع)؛ ليكون (التقابل) بين لفظ (الأعمى) وضده (البصير)، وبين لفظ (الأصم) وضده (السميع). لكن التأمل في الآية يرشد إلى أنه لما ذكر انسداد العين أتبعه بانسداد السمع، وبضد ذلك، لما ذكر انفتاح البصر، أعقبه بانفتاح السمع، فما تضمنته الآية الكريمة هو الأنسب في التقابل، والأتم في الإعجاز.

ومن المقابلة ما يكون بين صورتين وما يقابلهما من صورتين، كما في قوله تعالى:﴿ أَوَلَمْ يهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ~ أَوَلَمْ يرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يبْصِرُونَ ﴾(السجدة: 26، 27).

ففي لحظة نقلهم من منظر القرى الهالكة بعد الحياة والعمران إلى الأرض الحية بعد الجذب. "فالتقابل هنا بين حالتين وحالتين في الواقع لا بين حالة وحالة" عبد العزيز إبراهيم، 2012).

ومن الأمثلة المعجزة في هذا النوع من التقابل الذي لعبت فيه المقابلة دورا لافتا في انسجام واتساق النص، قوله تعالى:﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتبتغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(القصص:73).

جاء اللفظان الليل والنهار في صدر الكلام، ثم قابلهما في عجز الكلام بضدين وهما السكون والحركة على الترتيب، " ثم عبر عن الحركة بلفظ مرادف، فاكتسب الكلام بذلك ضربا من المحاسن زائدا على المقابلة، فإنه عدل عن لفظ الحركة إلى لفظ ابتغاء الفضل، لكون الحركة تكون لمصلحة... ألا ترى الله سبحانه وتعالى كيف جعل العلة في وجود الليل والنهار، حصول منافع الإنسان، حيث قال:"

الإصدار السادس – العدد واحد وستون
تاريخ الإصدار: 2 – تشرين الثاني – 2023م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

لتسكنوا، ولتبتغوا " (بلام التعليل!) ... فلذلك جاء الكلام متلائما، آخذا بعضه بأعناق بعض، ثم أخبرنا بالخبر الصادق." (ابن أبي الأصبع، بدون تاريخ، ص179، 180).

9 – خاتمـة

في ختام هذا البحث خلصنا الى مجموعة من النتائج، نجملها كما يأتي:

إن الطباق والمقابلة من أجمل الفنون البلاغية وأبلغها أثرا في إبراز المعاني، لأنها تتجاوز حدود التحسين الشكلي إلى بواطن المعاني، وهي بهذا وسيلة توضيح وتجميل وربط بين فقرات النص ووسيلة تساهم في سبك النص وربط معانيه بعضها ببعض.

. إن المعنى اللغوي للطباق والتطابق يدور في دائرة التشابه والتماثل والتساوي، و تسمي المعاجم هذا الفن من البلاغة بـ (الطباق)، وهو مأخوذ من التطابق، بيد أن بعضهم رأى من الأليق من حيث المعنى أن يسمى (التقابل)؛ لأنه لا يخلو الحال فيه من وجهين: إما أن يقابل الشيء بضده، أو يقابل بما ليس ضده، وليس ثمة وجه ثالث، لذلك نضم صوتنا إلى صوت الدكتور رجاء عيد في ضرورة دمج الشكليين البديعيين الطباق والمقابلة، ونخالفه في التسمية، فالأجدر تسميتهما بالتقابل، ويكون الطباق جزءا من المقابلة، لأن الفرق الأساسي بينهما كمي لا نوعي.

. من العلماء القلائل الذين تفطنوا الى المعاني العميقة للتقابل في القرآن الكريم وفي اللغة عموما ابن الأثير الجزري، الذي تناوله بالدراسة المعمقة في كتابه (الجامع الكبير)، وكذا ابن أبي الأصبع المصري في كتابه (تحرير التحبير).

. للطباق والمقابلة المكانة الهامة في النص الأدبي، إذ أن وظيفتهما تتعدى حدود التحسين اللفظي إلى وظائف أخرى كالربط والسبك، للمساهمة في تماسك النص، دون أن ننسى وظيفتهما الأساسية وهي إبراز المعنى العميق للخطاب.

. إن التقابل المعجمي بين الكلمات يساهم في توضح معانيها، وهو طريقة لتعريفها، كما أنه يكشف عن تقابل أعمق بين المعاني.

. قد تكون المقابلة بالأضداد، أو بغيرها (شبيهها)، لأن المعنى يستدعي بعضه بعضا، سواء بالمقابلة أو بالشبه، وإن كان الضد أكثر ورودا على البال من الشبه، وأوضح في الدلالة لأن علة المعنى منه، فإن الشبه يثير الفكر، وينشطه، ويؤدي إلى تداعي المعاني، ويجعله يبحث عن أي الوجوه يكون (الشبه) المقابلة، فالمقابلة تجلو الأفكار، وتوضح المعاني، وتبرزها في صورة جلية، وتؤكدها وتقويها، وتؤدي إلى تلاحم الأجزاء وأتلاف الألفاظ وزيادتها جمالا، سواء كان ذلك من خلال عرض الأضداد أو الأشباه، وهذا سر جمالها.

قائمة المصادر والمراجع:

ابن الأثير، نصر الله ضياء الدين، (1956)، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، تح مصطفى جواد وجميل سعيد، بغداد، العراق، مطبعة المجمع العلمي العراقي.

ابن القيم إمام الجوزية. دت، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.

ابن فارس، أحمد. (1979)، مقاييس اللغة، تح عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج5.

ابن منظور، جمال الدين بن مكرم. لسان العرب، بيروت، لبنان، دار صادر، مج10، مج11.

الزركشي، بدر الدين. دت، البرهان في علوم القرآن، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، جمهورية مصر العربية، مكتبة دار التراث.

السكاكي، أبو يعقوب يوسف. (2011)، مفتاح العلوم، تح عبد الحميد هنداوي، ط2، بيروت لبنان، دار الكتب العلمية.

عبد العزيز إبراهيم، كمال. (2012)، أسلوب المقابلة في القرآن الكريم دراسة فنية بلاغية مقارنة، ط1، القاهرة، مصر، الدار الثقافية للنشر.

العلوي، يحي بن حمزة. (2007)، الإيجاز لأسرار كتاب الطراز في علوم حقائق الإيجاز، تح بن عيسى باطاهر، ط1، دار المدار الإسلامي.

العلوي، يحي بن حمزة. (2002)، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز، تح عبد الحميد هنداوي، ط1، بيروت، لبنان، المكتبة العصرية، ج2.

عيد، رجاء. دت، فلسفة البلاغة بين التقنية، الإسكندرية، منشأة المعارف.

الفيروزآبادي، مجد الدين. (2008)، القاموس المحيط، تح أبو الوفا نصر الهويني، القاهرة، دار الحديث.

القزويني، جلال الدين محمد. (1932)، التلخيص في علوم البلاغة، تح عبد الرحمان البرقوقي، ط2، جمهورية مصر العربية، المطبعة الرحمانية.

القزويني، جلال الدين محمد. (2003)، الايضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، تح إبراهيم شمس الدين، بيروت لبنان، ط1، دار الكتب العلمية.

الإصدار السادس – العدد واحد وستون
تاريخ الإصدار: 2 – تشرين الثاني – 2023م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

القيرواني، الحسن ابن رشيق. (1907)، العمدة في صناعة الشعر ونقده، تح محمد بدر الدين النعساني الحلبي، ط1، مصر، مطبعة السعادة، ج2.

القيرواني، الحسن ابن رشيق. (1955)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح محمد محي الدين عبد الحميد، ط2، مصر، مطبعة السعادة، ج2.

المصري، ابن أبي الأصبع. دت، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تح حفني محمد شرف، ج2.

مطلوب، أحمد. (1987)، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، العراق، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ج3.

"Counterpoint and Contrast from the Eloquence of the Sentence to the Eloquence of the Text"

Researcher:

Dr. Malika Benatallah

Summary:

The confinement of the rhetorical lesson to the vocabulary of evidence and examples has made Arabic rhetoric stand unable to touch modern artistic works in their comprehensiveness, as a result of the fragmentation tendency that characterized Arabic rhetoric. If we look at the rhetorical arts from a different perspective than what scholars have written, we may find that many of the rhetorical arts are still preserved. Secrets that rhetoricians have not yet discovered, and many rhetorical arts are still able to contribute and benefit to textual linguistics.

Keywords: Arabic rhetoric, Counterpoint, Interview, Text, the Holy Quran.